جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الأرشيف والمكتبة الوطنية
National Library & Archives

قراءات في كتب جديدة

07
اغسطس
2024

تعليم مصر: القيم المدنية والصراعات الأيدلوجية

ليندا هيريرا

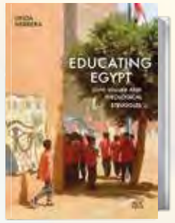

يدرس الكتاب مسار التعليم في مصر من عصر بناء الأمة إلى عصر الاضطراب الرقمي في القرن الحادي والعشرين. تتخذ الباحثة في الجزء الأول من الكتاب نموذج في مدرسة إعدادية للبنات في تسعينيات القرن العشرين والتي حفلت ببرنامج الإصلاح الاقتصادي وظواهر أخرى عديدة.أما في الفصل الثاني فتحلل ظاهرة الطابور الصباحي التي تسهم في تعزيز الوطنية والانضباط والبناء المجتمعي. أما الفصل الثالث فيعالج مسألة الطبقة الوسطى وقيمها المدينية التي تسود في المدرسة ومعنى ذلك وتأثيراته على التعليم؛ في حين يدرس الفصل الرابع مسألة تراجع أهمية مهنة التعليم على المستوى الاجتماعي وأسباب ذلك. ومن المشكلات التحول إلى الدروس الخصوصية وما ألقته من عبء عالٍ ثقيل على أهل الطلبة. أما في القسم الثاني فتركز الباحثة على ظواهر مثل المدارس الإسلامية الخاصة، ومثل الاهتمام بالهوية الدينية، وإلى التحول في المظهر الذي طغى على فتيات ونساء مصر. وقد شهد التعليم بمصر في التسعينات اهتماماً خاصاً من خلال رفع الميزانيات والتوجه لبناء المدارس، ومدى تأثير ذلك على مؤشرات التنمية وتقدم التعليم. أما الفصل العاشر من هذا القسم فيعنى بنوع جديد من بحوث التعليم وعلائقه بالخطة والفئة، وأخطار التعليم الرقمي. وهنا تذكر د. المزروعي قراءتها في العدد الأول من المجلة مسألة إصلاح الدرجات لأوكونر. يشكل نجاح التعليم قضية عامة ووطنية بالدرجة الأولى. والكتاب المعروض هنا من جانب باحثة متخصصة يطرح مشكلات لا تتناول التعليم بمصر فقط؛ بل الكثير من البلدان.

قراءة: كريمة مطر المزروعي صفحة 31

جامعة الوفرة

مايكل سميث

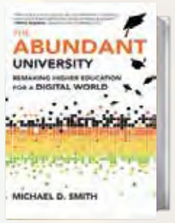

يهتم الكتاب باستحداث مداخل عدة لجمهورٍ واسع ومتنوع المشارب لتوسيع نطاق التعليم وتأثيره، وذلك لمعالجة الدوامة التي دخلتها أغلب الجامعات. ومنها تلك التي تمثل الصدارة في عالم اليوم. يدرس الكاتب مشواره الدراسي الجامعي بما يتناول سياسة الانتقاء التي تعتمدها الجامعات وطرق التدريس ودور الأستاذ، منتقداً أسباب انعزال الجامعات وانزوائها، فسياسات القبول تتسم بالانتقائية والحصرية إذ لا تركز على المستوى الأكاديمي للطالب فحسب، بل تأخذ بالاعتبار الخلفية الاقتصادية للمترشح والموقع الجغرافي، وهذا يتناقض مع رسالة الجامعة وقيمها. وفي مقابل ذلك يضع المؤلف؛ جامعة الوفرة وهي التي تتبع سياسة التعليم المتقن، وتتجاوز مسألة الندرة في التخصصات وأعداد الطلاب والأساتذة، وهو يذكر أعمال مؤلفين كتبوا في تجاوز هذه المشكلات. ومن ذلك مسألة المهارات. والكاتب ضد التركيز على التعليم الحضوري، ويقترح مخارج للجامعات تؤمن وصول أكبر عدد من الطلبة برسوم أقل وبصورٍ أكثر انفتاحاً ومرونة.

قراءة: نور الدين الموادن صفحة 34

قوة اللغة

فيوريكا ماريان

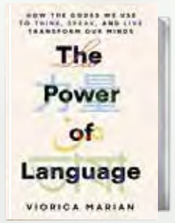

منذ عمل فيرديناند دي سويسر صارت الدراسة العلمية للغة منصبة على البنية والوظيفة والاستعمال، وهي كلها عناصر تساعد على استكشاف عمل اللغة ناقلا للمشاعر والأفكار وتحقيق الأغراض المتعددة في حياة الإنسان. يرصد كتاب فيوريكا ماريان تفاعل اللغة والعقل، وتلاحظ المؤلفة التي تتقن عدة لغات حيادية موضوع اللغة بما يتوافق مع منطلق اللسانيات. إن طبيعة عمل الأنظمة في اللغات تثير العديد من القضايا النحوية والصرفية والاجتماعية والبنيوية والبراجماتية. وعدم المعرفة بالأنظمة المختلفة والتي تسمى ثقافية قد يؤدي إلى نتائج مأساوية، بينما تؤدي معرفة الأنظمة إلى تأخير الزهايمر وإلى التطور في اكتساب المهارات، وتعدد اللغات يؤدي إلى تحسين الأداء في المستوى الوظيفي، ويمكن إقامة روابط بين الأشياء بطرق فريدة. وقد قسمت المؤلفة الكتاب إلى أحد عشر مبحثاً في قسمين كبيرين، وتستشهد لقوة اللغة بقول فتغنشتاين: حدود لغتي يعني حدود عالمي. فالمدهل في العقل إدراكنا للواقع لا يرتبط بالكلمات التي نعرفها فحسب، بل يرتبط أيضا بأنماط نشاط أدمغتنا التي تختلف بين الأشخاص بناءً على تجاربهم الفردية. وكما أن المعالجة المتوازية تصنع الكائن الحي الفائق؛ فإن التعددية اللغوية تؤثر في الإدراك والإبداع إيجاباً، فموضوع الكتاب التعدد اللغوي وآثاره الإيجابية في الترجمة وفي الرموز وفي مستقبل العلوم والتكنولوجيا. **قراءة: لعبيدي بوعبدالله صفحة 37**

الأدب العربي عالمه وعالميته: اللغة والتأثير وأخلاقيات الترجمة

آنا ستانتون

يحاول الكتاب الصادر عن مطبع الجامعة فوردهام في نيويورك عام 2023 أن يقدم منهجية جديدة انطلاقا من الترجمة الصوتية المتمثلة في صوغ تشكيل صوتي وحرفي جديد لكل حرف عربي ليقابل نظيره في الأبجدية اللاتينية، كانت الكاتبة صريحة حول دافع الكتابة لديها إذ هدفت للرد على طرح الناقد الأمريكي إدوارد سعيد الذي رأى أن الأدب العربي قد حيل دون نشره باللغات الحية لسنوات طويلة، وأن السبب ربما يكمن في أن اللغة المجازية في العربية لا يمكن نقلها وترجمتها بالشكل الذي يروق الناشرين بالغرب. وترى المؤلفة أن هذا الأمر إن كان وارداً فقد جرى تجاوزه في الترجمات الجديدة للأعمال العربية، ثم أفول نجم نظرية الأدب الكولونيالي. مع سياسة التقارب والحاجة إلى فهم الآخر أسهم حقل تعليم العربية للناطقين بغيرها في تشريع الأبواب للانفتاح على الأدب العربي عند متعلمي العربية الأجانب من جديد. ومع تعلم اللغات وتطور آليات الترجمة صار العالم يتحدث بلغة واحدة، وصار أقرب للتسامح والتصالح. بعد ذلك تذكر المؤلفة مثالين للترجمة عن العربية هما الساق على الساق لأحمد فارس الشدياق، والترجمة الجديدة لألف ليلة وليلة، كما تذكر أعلام المترجمين مثل روجر ألين ودينيس جونسون ديفيز. **قراءة: نزار قبيلات صفحة 41**

دين البدو الرحل وشعائرهم قبل الإسلام

أحمد الجلاد

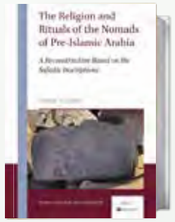

يدرس أحمد الجلاد المتخصص في النقوش والكتابات العربية القديمة بجامعة ولاية أوهايو ديانة البدو الصفائيين في شمال الجزيرة من خلال نقوشهم. يشكل باحث أنه رغم كثرة النقوش الصفوية أو الصفائية لكنها تدور غالباً حول الأنساب والكلام فيها عن الثيولوجيا قليل. ومنهج الكاتب مقارني، بمعنى أنه يقارن الإشارات القليلة بالديانات الأخرى القديمة بالمنطقة والجوار. موضوعات الكتاب في سبعة أجزاء: الشعائر والآلهة وأدوارها في حياة البشر، والقدر والحياة الآخرة والتمثيل المرئي للآلهة والعالم الإلهي وأسباب الكتابة وإعادة بناء المشهد الديني من منظور عالمي، في مجال الطقوس الدينية هناك التضحية بالحيوانات في المناسبات وإقامة الأنصاب الدينية والمنشآت الجنائزية والمأوى الطقسي (السقيفة) والتماثيل ودلالات الألفاظ. وقد ذكر الباحث الحج والطهارة الطقسية والقرابين التي قد تكون محروقة. وأهم الآلهة جاد ضيف، واللات، واللات وذو الشرى معاً. ويرد ذكر شعيرة الحج قليلا بدون مواعيد وأماكن، ومن أماكن الحج منطقة (سيع) جنوبي سورية، والتي كانت مركزاً للحج تكريماً للآلهة بعل السمين. ويبدو أن اللات كانت أشهر الآلهة عندهم لكن آلهتهم كثيرة، ومنها بعل سمين الذي كان إلها للمطر والسماوات. أما تجسيد المقدَّس فله مظهران: الآلهة من جهة، والقدر أو مني (منية) من جهةٍ أخرى.

قراءة: زياد السلامين صفحة 43

ممالك الإيمان

برايان كاتلوس

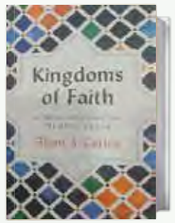

درس الباحث المجتمع الأندلسي في ظل السيطرة العربية الإصلاحية، وقد كان المجتمع متنوعاً بين الديانات التي تعايش برحابةٍ وودٍّ وتفاعلٍ بحيث صارت قرطبة مدينة عالمية في تلك العصور. يكتب الباحث مقدمة في تاريخ الإسلام، وأخرى في تاريخ المسلمين بالأندلس. أما الفترة المتألقة في التعايش فيميزها الكاتب من خلال الأعلام الذين ظهروا فيها مثل موسى بن عزرا وابن حزم و ابن رشد الحفيد وموسى بن ميمون وابن الصائغ. وفي الفصل الخامس من الكتاب الذي يعطيه الباحث عنوان زمن الرومانسية تحدث عن العمران وقصور الحمراء ومظاهر الروعة والجمال الأخرى. الكتاب ليس أكاديمياً بحتاً بل فيه جانب سردي و تبسيطي، وقد برز ذلك من خلال التركيز على الأحداث والوقائع المؤثرة في تاريخ ممالك الإيمان تلك، فقد اقترن العمران بحضارةٍ إنسانيةٍ رائعة وأناس منفتحين دينياً وإنسانياً. **قراءة: عبد الحميد الراقي صفحة 46**

أو الرفض التام في تبني التعليم الرقمي. بل إن الكاتب يعتقد أن المؤسسات التقليدية بإمكانها أن تتبنى الجانب الرقمي بجانب نظامها المبني على "الندرة"، وذلك بالدفع بأساتذتها للتضحية ببعض امتيازاتهم حتى يتمكن العديد من الطلبة الذين تم استبعادهم من النظام الحصول على فرصة.

يرى الكاتب أن مقاومة التكنولوجيا الرقمية (مقاومة المنصات الرقمية) التي شهدتها العديد من مؤسسات التعليم العالي، وحرصها على ضرورة الالتزام بالتعليم الحضوري قد أثقل كاهل نظام التعليم العالي ماليا. ويعتقد أن الطريق الوحيد لاستدامة التعليم العالي والتقليل من تفاقم الوضع الاجتماعي والاقتصادي للطلبة هو باعتماد التكنولوجيا، التي من شأنها أن تمنح التعليم العالي الاستدامة المالية والأخلاقية المطلوبة.

على الرغم من أن البعض قد لا يتفق مع عدد من الأفكار التي يطرحها كتاب "جامعة الوفرة"، إلا أنه يُذكّر بضرورة مناقشة التحديات الراهنة التي تواجه التعليم العالي، ويدفع إلى مساءلة نموذجه الأساسي "المعتمد" في احتكار الشهادات، كما يدعو إلى ضرورة التحول الكامل للجامعات لخلق فرص وصول أكبر عدد من الطلبة، وذلك باعتماد سياسة إعادة بناء التعليم العالي مبنيا على عالم رقمي، ويشجع على ابتكار سبل ومناهج أخرى تهدف إلى تطوير الجامعات في كيفية تقديم التعليم ولمن تقدمه، وتجاوز احتكار منح الشهادات التي استحوذت عليها عدد من المؤسسات الجامعية لفترة طويلة.

لقد سعى مايكل سميث من خلال فقرات كتابه "جامعة الوفرة" إلى الدعوة لمستقبل يتصور فيه التعليم الجامعي أكثر انفتاحًا، وأكثر مرونةً، وأكثر شمولًا، وأقل تكلفةً، ويسمح بتجاوز النظام الحالي الأكثر فوضوية والأكثر تكلفة.

المشاركة في

المعرض الدولي للنشر والكتاب بالرباط – المغرب

9-19 مايو 2024

مشاركة الجامعة في المعرض الدولي للكتاب والنشر الذي أقيم في الرباط بالمملكة المغربية، وذلك بالتعاون مع وزارة الشباب والثقافة والتواصل المغربية، لعرض إصدارات الجامعة ومحاضراتها العلمية والثقافية.

قوة اللغة

The Power of Language

Viorica Marian

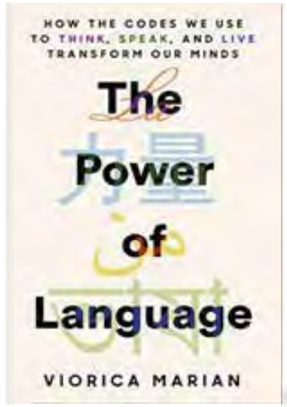

قراءة لعبيدي بوعبدالله
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

استهدف البحث اللساني الحديث منذ أن وضع فاردينان دي سوسير أسس الدراسة العلمية للغة، البنية، والوظيفة، والاستعمال، وهي كلها عناصر تساعد على استكشاف عمل اللغة كناقل للمشاعر والأفكار وتحقيق الأغراض المتعددة في حياة الإنسان وترقية علاقاته الاجتماعية. فتشكلت لذلك مدارس واتجاهات متعددة؛ بغرض التوصيف الدقيق لهذا الكائن البيني، ومن أبرزها المدرسة البنيوية، والوظيفية، والنسقية، والسلوكية، والتوزيعية، وآخرها المدرسة التوليدية التحويلية، التي تنظر إلى اللغة من خلال إبداعيتها وإنتاجيتها وبناها النحوية الكلية العميقة والسطحية، وهي ملامح تعطي الأهمية للبعد المعرفي العقلي للغة بوصفه يمثل الدور الأساسي في تحديد معالم كينونة اللغة، وضبط آليات عملها، وهو اتجاه يتقاطع بشكل أساسي مع التناول السيكولوجي للغة الذي يضطلع به علم النفس اللغوي، ليشرح عمل العقل البشري ويشرِّح ما يقوم به من إنتاج، وتنظيم، وتخزين واستدعاء السلاسل الكلامية، وما ينجرّ عن ذلك من ملامح سيكولوجية، تجعل من اللغة عملًا ذهنيًّا بامتياز، يحكمه الإدراك الشخصي بالدرجة الأولى، ثم تليه جملة الضوابط الميثالسانية والسوسيوثقافية للاستعمال.

وفي هذا الصدد يندرج كتاب الباحثة الرومانية فيوريكا ماريان، الذي أهدته إلى محبي اللغات حيثما كانوا، والذي يرصد تفاعل اللغة والعقل، ويقع في مقدمة وقسمين، اختارت أن تكتبه بلغتها الثالثة (بعد اللغة الروسية) وهي اللغة الإنجليزية، ليعكس ذلك -كما أشارت في المقدمة- حيادية موضوع اللغة بما يتوافق مع منطلقات اللسانيات التي تقف عند اللغات البشرية بمسافة متساوية، وهدف واحد موغل في العلمية والموضوعية، التي تحتِّم على الدارس اتباع المسالك التي تضمن صدقية النتائج، وبعدها عمّا يشوِّه نسق الأنظمة التواصلية ويطمس سمات وحداتها اللسانية.

مؤلّفة الكتاب:

فيوريكا ماريان: أستاذة علوم الاتصال واضطراباته وعلم النفس بجامعة نورث وسترن بولاي إلينوي بالولايات المتحدة، تدير منذ العام 2000 مختبر البحث حول الازدواجية اللغوية واللسانيات النفسية، أنجزت فيه العديد من الأبحاث على عدة لغات. تتقن الكتابة -إلى جانب لغتها الأم الرومانية- باللغة الروسية واللغة الإنجليزية.

حول الكتاب:

يقع الكتاب في 271ص، ومقدّمته التي أرادتها المؤلّفة أن تكون بمثابة الترحيب، تقع في سبع صفحات، تنطلق فيها من رصد الوجود اللغوي عبر تاريخ أقدم الحضارات وأعرقها (الحضارة البابلية) بالعراق التي بني بها برج بابل؛ بهدف بلوغ أسباب السماء، وما تضمنته أدبيات النصوص المقدسة وموقفها تجاه أوائلية اللغات، من أن الله اختار للبشرية لسانًا واحدًا يغنيهم عن مشقّة بلوغ السماء، ثم فرّع لسانهم إلى لغات متعددة؛ حتى لا يلهيهم التواصل عن أداء عملهم. ولإبراز ما تتضمنه اللغة من إمكانات مفهومية من منظور ديني، تستشهد المؤلّفة -أيضًا- بقول الله في القرآن الكريم: (وَمَآ أَرسَلنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم) (إبراهيم: 04). وبما ذكره الإيطالي بريمو ليفي عن حدود اللغة ومحدوديتها: وإنسانيتها. لتثير السؤال الجوهري الذي يُعدُّ المدخل إلى موضوع الكتاب، وهو العلاقة الجدلية التي تدور حول ثنائية (اللغة والعالم)، بمعنى: هل إن اللغة تابعة لفهمنا للعالم أم أن فهم العالم يتبع لغتنا؟

ولاشك أن الإجابة عنه تكون باللجوء إلى البحث الحاسوبي الآلي المبني على خوارزميات حسابية، ودراسات البنية التي ينجزها علماء الأعصاب حول بنية الدماغ، ووظائفه، و تموضع اللغات فيه.

إن التناولات الحاسوبية أفرزت توصيفات للعمليات العقلية ورسمت البنى العقلية بشكل أكثر دقة، وفصلت بين المفاهيم المتداخلة، المتعلقة بالذاكرة والإدراك، وما قد ينجرّ عن تفسيرنا للواقع من أوهام قد تصنعها اللغة، وهي قضايا تضطلع بها اللسانيات

النفسية التي يدور موضوعها بين العقل واللغة، وما ينجزه العقل من عمليات إدراكية، ويستلزمه من قدرات معرفية وعصبية.

يظهر جليًا أن الكتاب هو خلاصة تجربة بحثية شخصية ورحلة علمية استقرائية لمزدوجي أو متعددي اللغات؛ تم فيها استقراء العديد من اللغات البشرية –بما في ذلك لغة الإشارة الأمريكية– مثل: الهندية، والفرنسية، والألمانية، واليابانية، والكورية، والبولندية، والإسبانية، والتايلاندية، والأوكرانية، وغيرها.

إن طبيعة عمل الأنظمة في هذه اللغات، تثير العديد من القضايا النحوية والصرفية والاجتماعية، والبنيوية، والبراغماتية، حيث تختلف روابط الجمل من لغة إلى أخرى، وتتنوع طرق تأدية المعاني، وكل ذلك يندرج ضمن نقاط قوة اللغات مهما كانت غاياتها وأهدافها. وبالعكس فإن أي فشل في مراعاة الاختلافات الموجودة بين الأنظمة اللغوية سيؤدي إلى نتائج مأساوية، ولا أدل على ذلك من احتراق مركبة ناسا للمناخ حول المريخ بسبب سوء ترجمة وحدات القياس من النظام الإنجليزي إلى النظام المتري، ومن الأمثلة أيضًا ما حدث في واقعة هيروشيما حيث كانت النتيجة مدمرة بسبب سوء تأويل تعليق رئيس الوزراء الياباني كانتارو سوزوكي على تصريح قادة الحلفاء!

ومع ذلك، فإن المؤلِّفة تؤكد أن تعلم اللغات بالانتقال من نظام إلى آخر يؤدي إلى تأخير الإصابة بمرض الزهايمر وغيره من أنواع الخرف، بمدة تتراوح بين 4 إلى 6 سنوات، ويزيد من الحصيلة المعرفية. وعند الأطفال فإن تعلم لغة ثانية يعني الفهم المبكر للنظام الرمزي، وللعلاقات الاعتباطية بين الدوال والمدلولات، ويعني التطور في اكتساب المهارات اللغوية التي تؤسس للعمليات الماوراء معرفية.

إن معرفة لغات متعددة يؤدي إلى تحسين الأداء في المستوى الوظيفي، ويمكِّن من إقامة روابط بين الأشياء بطرق فريدة، ويرفع من درجات الإبداعية ومهام التفكير المتميز.

وإذا كان اللسانيون يفرقون في دراسة موضوع اللغات بين الوضع والاستعمال، فإن سياق موضوع الكتاب يفرق بين استخدام اللغة وبين معرفة قوتها، فليس كل مستخدم للغة مدرك لطاقتها وقدراتها الكامنة.

موضوعات الكتاب:

قسّمت المؤلِّفة مادة الكتاب إلى قسمين، بـ 11 مبحثًا؛ حيث حمل القسم الأول عنوان: "الذات." والثاني "المجتمع".

القسم الأول: الذات، انطلقت فيه من مقولة شهيرة للفيلسوف ليدفينغ فيتغينشتاين (ت1951)، وهي: "حدود لغتي تعني حدود عالمي". وقسمته إلى 06 فصول هي:

1 - المذهل في العقل:

وفيه تثبت أن إدراكنا للواقع لا يرتبط بالكلمات التي نعرفها فحسب، بل يرتبط أيضًا بأنماط نشاط أدمغتنا، التي تختلف بين الأشخاص بناءً على تجاربهم الفردية، وهو أساس نشاط الدماغ. ونظرًا لأن تصوراتنا وأفكارنا مقيّدة بأنماط التنشيط العصبي؛ ولأن اللغات المختلفة تنشّط شبكات عصبية مختلفة، فإن الذين يتحدثون لغات متعددة يمكنهم عبور هذه الحدود العقلية بطرق لا تقل عن كونها مذهلة، حيث إن ما نراه أو نسمعه يتأثر بالخلايا العصبية التي تنشط بناء على ما تم تنشيطه من الخلايا العصبية بالتجارب الحديثة.

عندما يقوم مزدوجو اللغة بتبديل اللغات، فإن شبكات التنشيط العصبي الخاصة بهم تتغير أيضًا، ويتغير معهم أيضًا إدراكهم وتفسيرهم للواقع، مما يسمح لهم بالتحرّك عبر مستويات متعددة من التنشيط العصبي المشترك، ومن ثمة يمكن القول، بأننا إزاء (طائرات) متعددة من الوجود.

2 - المعالجة المتوازية.. الكائن الحي الفائق

ترى المؤلِّفة بأن أثر المعالجة المتوازية للمادة اللغوية يظهر بما يحدثه من تداعيات على الإدراك، والانتباه، والذاكرة، وغيرها من الوظائف المعرفية. التي تعمل عناصرها -غير المستقلة- في اتساق تام، تجعل من العقل وحدة متكاملة من الخبرات التي تفسَّر عادة بما يحدث فيها من تغيير.

ومن هنا كان تصور التعددية اللغوية ليست بوصفها بنية ثابتة، بل بوصفها حالة من التَّغير الذِّهني المستمر، بناء على ما يتلقّاه الدماغ باستمرار من المدخلات السمعية، والبصرية، واللمسية والشمية والذوقية وغيرها.

ونظرًا لوجود المزيد من التنشيط المشترك في النظام بلغتين أو أكثر، هناك حاجة إلى مزيد من التحكّم المعرفي لإدارة المنافسة عبر اللغات، خاصة عند التحدث وإنتاج اللغة. وبمجرد أن نفهم التنشيط المشترك الموازي عبر شبكة اللغات المتعددة المترابطة والديناميكية للغاية، فإننا نفهم ما الذي يحرك عواقب التعددية اللغوية.

3 - في الإبداع والإدراك والفكر:

إن الإدراك بأنواعه، وموضوعاته، والآليات التي يعمل بها، يجعل من اللغة آلية للإبداع والتشفير، ويختلف ذلك بين اللغة الأم واللغات المتعددة، حيث إن ترجمة الأشخاص متعددي اللغات عن صورهم الذهنية أقل وضوحًا للتجارب الحسية في لغاتهم الأجنبية مقارنة بلغتهم، مما يدل على أن الحياة مرتبطة باللغة الأم، ومع ذلك فإن تعلم لغة أخرى يجعل بالإمكان إدراك البيئة المحيطة بنا دون القيود التي تفرضها حدود لغة واحدة.

4 - الكلمة التي صارت جسدًا:

تنطلق المؤلِّفة من تجربتها في الدراسة العصبية لأدمغة متعددي اللغات، ومحاولات الباحثين في توصيف فقدان واستعادة اللغات المختلفة في الحبسة اللغوية متعددة اللغات. لتؤكّد -انطلاقًا من العنوان الذي هو سطر في الكتاب المقدس- بأن "تعلم لغة أخرى يغير جسدك المادي"، والواقع أن تغيير اللغة هو فكرة موجودة في العديد من الأديان والممارسات الروحية والأساطير والثقافات الإنسانية، إنها كالسحر؛ لأن الكلمات -كما يعتقد اليابانيون- لديها القدرة على تغيير الواقع المادي، وكما جاء في الأثر: "إنَّ من البيان لسحرًا".

5 - الطفولة والشيخوخة وما بينهما:

وفيه تضيف الكتابة عامل الازدواجية اللغوية إلى العوامل التي تسهم في سلامة الصحة في مرحلة الشيخوخة؛ إلى جانب الرياضة والتغذية والتعليم، حيث إن التعامل مع لغتين أو أكثر يسهم في إنشاء شبكة عصبية أكثر ترابطًا تعوض -وظيفيًّا- التدهور الصحي.

6 - لغة أخرى.. روح أخرى:

وهو تجسيد للمثل الصيني القائل: "غالبًا ما يصبح متعددو اللغات نُسخًا مختلفة إلى حد ما عن أنفسهم عندما يتحدثون لغة أخرى"، تسوق فيه المؤلِّفة ما يثبت أن متعدِّدي اللغات يكتسبون مجموعة من القيم التي تتعلق باحترام الذات والانفتاح وقبول الآخر والتسامح وفق معايير مختلفة، يصلون من خلالها إلى أطر ثقافية مختلفة ووجهات نظر إدراكية حول العالم.

الجزء الثاني: المجتمع:

صدَّرت المؤلِّفة هذا الجزء بمقولة لـ: ت.س. إيليوت (ت1965): "إن كلمات العام الماضي تنتمي إلى العام الماضي ، وكلمات العام المقبل تنتظر صوتًا آخر"، ويتضمن خمسة فصول:

7 - المؤثّر المطلق!

إن الدراسات العصبية التي أجرتها المؤلِّفة حول الدماغ، لم تمنعها من الانتقال إلى البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الفرد؛ لتقرر بأن التعدد اللغوي لا يؤثر في أدمغتنا ومشاعرنا وأجسادنا فحسب، بل إن بنية المجتمع وجوهر وظيفته تتأثر باللغة في تنوعها وتعدد مجالات استخدامها، متمثلة بنماذج من خطابات السياسيين على اختلاف لغاتهم.

8 - كلمات التغيير:

يتَّسم هذا الفصل بالسمة التوجيهية والتربوية في اقتراح طرق للتعامل مع الأفراد في المجتمعات متعددة اللغات، وذلك بمراعاة النواحي الثقافية والتربوية المختلفة بما في ذلك التواصل اللفظي وغير اللفظي، وربط الاتصال، وتفسير الوقفات، والصمت... إلخ. بالإضافة إلى تجارب ميدانية تثبت أهمية تعلم لغة ثانية؛ ودورها في إحداث التغيير لدى الفرد، وما ينجم عن ذلك من تقدم البلدان سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا.

9 - وجدت في الترجمة !

لا تخلو دراسة التعدد اللغوي من مقاربة الانتقال من نظام إلى نظام آخر، مما استدعى تتبع المعاني منذ نشأتها ذهنيًّا وتدفّقها صوتيًّا، وهو الأمر الذي يحدث عند المترجم الفوري الذي يهدف إلى الانتقال من وسط لغوي إلى آخر، مع ما يعقب ذلك من عمليات عصبية ومعرفية متزامنة، ذات تأثير على البنية الدماغية المسؤولة عن تصور الكلام وإنتاجه، مع ما يشكله الإخفاق في ذلك من تأثير على الجوانب الاقتصادية والسياسية والقانونية وغيرها.

10 - رموز عقولنا:

يتضمن هذا الفصل الحديث -من جهة- عمّا تمثله الرموز اللغوية لأكثر من 7000 لغة طبيعية يستخدمها الناس في العالم اليوم، وتشمل 140 أسرة لغوية، حيث تعمل حوالي 80 لغة بصفتها لغاتٍ رسمية لحوالي 190 دولة في العالم، وهي نسبة قليلة مما استخدمه البشر من لغات على مر الزمن، وما ينقرض من اللغات كل عام، وهنا لم تجد المؤلِّفة بدًّا من مقاربة الموضوع تاريخيًّا من خلال مساءلة الأصوات اللغوية والرموز الخطية للبحث عن أوائليتها.

فإذا كانت مؤلفة الكتاب ترى باستحالة ذلك فيما يخص الأصوات؛ لانعدام التسجيلات، مع إمكانية التخمين استنادًا إلى تشريح جهاز النطق البشري، ومن خلال التحليل الإحصائي لتكرار الكلمات وتداخلها عبر اللغات البشرية، فإنها تؤكِّد -بخصوص رموز الكتابة- ظهورها من خلال الكتابة المسمارية للغة السومرية في بلاد ما بين النهرين حوالي 3500 ق.م -ومن جهة أخرى عما يمكن للدماغ والأنظمة الاصطناعية أن تحدثه من الرموز، والإمكانات التي تتيحها اللغات الاصطناعية لفهم تطور الوظائف العليا للدماغ؛ من خلال قدرتها على استخلاص العمليات المعقدة، وهي المفتاح -برأي المؤلِّفة- لفهم القدرات البشرية الفريدة التي تربك حتى أكثر أشكال الذكاء الاصطناعي تقدمًا.

11 - مستقبل العلوم والتكنولوجيا:

تنطلق المؤلِّفة في هذا الفصل من التأمل الفلسفي الكلاسيكي للغة في مقابل الفكر؛ لتناقش -استشرافيًّا- ما يمكن للتقدم العلمي والتكنولوجي أن يضيفه فيما يخص قدرتنا على ابتكار أنظمة علامية تواصلية، وتأثيراته الإيجابية التي تنجر عن ذلك، التي لا تخلو هي الأخرى من تداعيات سلبية. إن بإمكان التكنولوجيا أن تمد البشرية بالعديد من الطرق الفعالة في مجال التواصل واستعادة الأفكار وترجمة اللغات (كتابيًّا أو فوريًّا) مهما بدا ذلك للوهلة الأولى بأنه من خوارق الطبيعة.

وفي الخاتمة قدمت المرلفة مجموعة من التوجيهات في مجال اكتساب اللغات المتعددة، سبعة منها عامة، وسبعة خاصة. فأما العامة فهي:

1 - التسجيل في فصل دراسي لاكتساب لغة أخرى غير اللغة الأم.

2 - استخدام تطبيقات تعلم اللغات.

3 - السفر.

4 - تطوير العلاقات مع المتحدثين بلغات مختلفة.
5 - جعل التعدد اللغوي من العادات.
6 - استخدام طرق التذكر.
7 - اختيار الشريك المناسب أثناء التعلم والاكتساب.
وأما الخاصة فهي موجهة للمربّين من أجل تربية أطفالهم مزدوجي اللغة، وهي كما يأتي:
1 - زيادة كميات المدخلات اللغوية.
2 - زيادة جودة اللغة.
3 - طلب المساعدة من أفراد الأسرة.
4 - تحديد الاستراتيجية التي تناسب أراد الأسرة.
5 - ترك طفلك يقود الطريق.
6 - اختيار التعليم المزدوج اللغة.
7 - التعليم المستمر لكل ما يتعلق بالازدواجية اللغوية.
إن كتاب "قوة اللغة"، يثبت أنّ اللغة مجال بينيّ بامتياز؛ لأنه يربط بين اللسانيات، وعلم النفس، وتعليم اللغات، وعلم الاجتماع، والتربية، والترجمة، والاتصال، والفلسفة، ولذا أمكن عدُّ الكتاب مرجعًا للمجالات المذكورة كلها في آن واحد.
كما أثبت أن اللغة عالم من الرؤى المنبثقة من جوهر نظامها وبنيتها، تسكن الدماغ البشري؛ لتزوّد الفرد بآليات فهم ذاته، وقراءة واقعه واستقرائه؛ عن طريق التأمل والتواصل والولوج إلى ما لدى الآخر عبر تموضعه الاجتماعي، وتراكماته الثقافية.
إن عنوان القسم الأول (الذات) يعكس التجربة الذاتية التي عاشتها المؤلِّفة بوصفها من متعدّدي اللغات، جعلتها تنظر إلى الكائن اللغوي من الداخل بوصفها -من جهة- مستعملًا، تستوقفها المشاعر والمواقف التي تفرزها الوضعيات اللغوية، و-من جهة أخرى- تنظر إليه من الخارج بوصفها باحثة في اللسانيات النفسية والعصبية، لتوصيف عمل الدماغ ورصد المعالجات العصبية المتوازية التي ترافق التواصل اللغوي، وتفسير ما يحدث من اضطرابات تواصلية ونفسية، إلى جانب استعراضها لنماذج واقية من وضعيات تخاطبية وإدراكية مذهلة حول عمل الدماغ في إنتاج المعنى، ونشاط أدمغة مزدوجي اللغات وتفاعلهم داخل مجتمعاتهم، مع استشرافات لما وراء اللغة ناتجة عن تجربة عميقة في البحث ومسيرة طويلة في الاحتكاك اللغوي.
وأما القسم الثاني المتعلق بالمجتمع؛ فيظهر بوصف دراسة البيئة في الأوساط اللغوية، بخباياها النفسية والإدراكية، وأبعادها الثقافية والاجتماعية، ليست بمعزل عن الخلفيات اللسانية النظرية والفلسفية التي ترسم الطريق نحو فهم أعمق لعالم اللغة، وتقدير أوثق لطاقاتها المتجددة عبر الأزمنة والأمكنة.

الأدب العربي عالمه وعالميته:
اللغة والتأثير وأخلاقيات الترجمة

The Worlding of Arabic
Literature Language, Affect, and the Ethics of Translatability
Anna Stanton

قراءة نزار قبيلات
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

من الطريف القول إن هناك من الأدباء من يصفون بعض المترجمين بالخونة، وذلك حين لا تعجبهم ترجماتهم. لذا، وقفت مؤلفة هذا الكتاب، وبحرص، في المقدمة التي أعدّتها، عند فكرة مفادها أن الترجمة فعلٌ لا يقتصر على نقل العلامات اللغوية وحسب، بل هي عملية نقل لجسد اللغة وكينونتها المتمثلة بإيقاعها وقوة تأثيرها وأبعادها من حيزٍ لغوي إلى آخر. وهذا الفعل - أي فعل الترجمة - خاضعٌ لقواعد السلوك والأخلاق، وليس لاعتبارات الهيمنة والاستعلاء كما شاع سابقاً. فبعض الترجمات تُفقد النّص الأدبي بريقه وهويته الأصلية حين تنقله، ففي اللغة الأخرى، أو اللغة الهدف كما يسميها المترجمون، تختل أجزاء كثيرة في النص؛ ما يعني أن تأثيريّته وتحسُّساته الخاصة تصبح متباينة، الأمر الذي يشي بخلل في طريقة الترجمة. إذن، فعل الترجمة عملية إنتاجية تعني الانتقال من حيزٍ سيميولوجي وإبستمولوجي إلى آخر مختلف تماماً، فتسقط - لامحالة أثناء عملية النقل أو التحويل تلك، ملامح عديدة من هوية النص المنقول من لغته الأم.
لقد أُشيع مسبقاً أن ترجمة الأدب العربي إلى الإنجليزية لم تكن ترجمةً موضوعيةً إطلاقا، وهو موقفٌ تبناه إدوارد سعيد طويلاً من قبل. غير أن فضاءات الأدب العربي بوصفه جزءًا من فضاء الأدب الإنساني، وبفعل التطور الحاصل مؤخراً في النظريات الأدبية، ومنها الترجمة، تطورت آليات الترجمة، وحتى نظرتها للآداب الأخرى، وصارت النصوص الأدبية المترجمة تحدث الأثر ذاته عند المتلقي. فمؤلفة الكتاب بين أيدينا، "آنا ستانتون" ترى أن الترجمة ليست مجرد نقل محتوى دلالي من حقل لغوي إلى آخر، بل هي عملية تحويل للتشكلات العاطفية حين تُنقل من بُعدٍ لغوي إلى آخر، بحيث تبقى التباينات الثقافية والهوياتية الصغرى تشير إلى أصل النص ومصدره بثقة.
نظرية الترجمة اليوم تقرأ الأدبَ من بوابة نظريات جمالية ولغوية حديثة، حريصة على إحداث ذات التأثر والتأثير دون استعلاء أو تخلٍّ، وتنظر إلى الآخر باستيعاب جديد لا يقوم على مفاهيم مسبقة فرضتها عصبة نقاد الأدب المقارن ومعاييرهم التقليدية، بل من خلال وحدويّة الأدب العالمي الإنساني الأعم وفضائه، بعد أن تكون الصفة الجديدة لنظرية الترجمة قد تجاوزت نظريات الأدب التي أنتجت مفاهيم مُعطّلة سابقاً، كأدب ما بعد الاستعمار، وتجاوزت كذلك فرضيات المعياريين الراديكاليين في النقد. ما يشير إلى أن هذا الكتاب يعزز نظرة المدرسة الأمريكية في النقد التي تسعى إلى عالمية الأدب بوصفه فضاءً جامعاً، على النقيض من المدرسة الاشتراكية التي تربط صيرورة الأدب والحاجة إليه من خلال بيئته المجتمعية الحاضنة، وتبني مواقفه وقضاياه وهمومه بانعكاس مماثل ومتطابق. في حين تؤكد النظرة الحديثة للترجمة أن الأدب فضاءٌ إنسانيٌ واحد.
يحاول الكتاب الصادر عن مطبعة جامعة فوردهام في نيويورك عام 2023 أن يقدم منهجية جديدة في الترجمة، انطلاقاً من الترجمة الصوتية المتمثلة في صوغ تشكيل فونيمي (صوتي) و مورفولوجي (صرفي) جديد لكل حرف عربي، ليقابل نظيره في الأبجدية اللاتينية. فقد استخدمت " آنا ستانتون" نظام المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط "IJMES" بحيث يتم تمثيل كل حرف ساكن عربي مؤكداً بالحرف اللاتيني المعادل لأقرب نظير له في الحروف اللاتينية، مع إضافة نقطة تحته. أمّا بخصوص حروف العلّة، فكما ذكرنا قبلاً، اعتمدت ستانتون على ذات النظام الصوتي في الترجمة، وذلك بوضع شرطة فوق الحروف الأبجدية اللاتينية التي تناظر حروف العلة العربية. كما أشارت إلى الشدّة بالتضعيف، كما في اللغة العربية. وقامت بترجمة علامة المؤنث في العربية، وهي تاء التأنيث، بوضع علامة صوتية لاحقة لها. كما ميزت أسماء الأعلام بحروف كبيرة أثناء ترجمتها ترجمةً صوتيةً حرفيةً. فقد كان نهج المؤلفة ومنهجها في الترجمة الصوتية يراعي المماثلة في النطق العربي، لأنها تعي دور الإيقاع